العـــرب واليهود (*)

للدكتور جواد علي

صلات العرب بالعبرانيين صلات قديمة ، ترجع إلى عصور مضت قبل المسيح . وقد تعرضت التوراة والتلمود وكتب يهودية أخرى إلى أخبار العرب . ونحن نعول في أكثر ما نكتبه عن صلات العرب بالعبرانيين في العصور التي سبقت الإسلام على هذه الكتب .

وكانت صلات العرب بأرض فلسطين قديمة كذلك ، ولعلها أقدم من علاقة العبرانيين بهذه الأرض . وكلمة « فلسطين » نفسها لا ترجع إلى أصل عبراني على رأي بعض العلماء[١] ، ولعلها كلمة عربية قديمة . وبهذه الصورة انتقلت إلى اليونانية واللاتينية ثم إلى سائر اللغات العالمية[٢] . ولعلها استعملت في العبرانية المتأخرة عن الاستعمال العربي القديم .

وقد أطلقت هذه الكلمة في الأصل على المنطقة الساحلية الضيقة التي تقع في جنوب الكرمل والتي كان يسكنها شعب يطلق عليه اسم « فلسطية philistia »[٣] . ثم أطلقت من قبيل التعميم على جميع الأراضي المجاورة لهـــذه المنطقة . وقد وردت اللفظة في العهد القديم بأشكال مختلفة . جاء في سفر الخروج « يسمع الشعوب فيرتعدون تأخذ الرعدة سكان فلسطين »[٤] . وجاء في سفر أشعياء « لا تفرحي يا جميع فلسطين لأن القضيب الضارب بك انكسر فإنه من أصل الحية يخرج أفعوان وثمرته تكون ثعباناً سامّاً طياراً »[٥] .

وتاريخ فلسطين تاريخ غامض جداً ، ولا يمكن أن نجد أي أثر للشعب القديم الذي كان يسكن في هذه البلاد قبل ثلاثة آلاف عام قبل المسيح . والظاهر أن الشعب الذي أقام في هذه البلاد بعد هذا التاريخ كان على شيء من الإنحطاط . فكانوا يسكنون الكهوف الطبيعية والكهوف الصناعية ، والظاهر أنه لم يكن من السلالة السامية ، وأنه كان من شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط . ولم يتمكن العلماء على كل حال من تشخيص ما تبقى من عظام هذا الشعب لقدمها وتلف أكثر ما تبقى منها ، ولعل الحوريين الذين ورد ذكرهم في سفر التكوين من بقايا هؤلاء[١] .

وأول سلالة سامية هبطت أرض فلسطين ، هي سلالة « الكنعانيين » أو « الموريين » « Amorites » ، والظاهر أنها نزلت في هذه البلاد بعد سنة (٢٥٠٠ قبل الميلاد[٢]) .

وقد حاول بعض العلماء التفريق بين الكنعانيين والموريين إلا أنهم لم يتمكنوا من إيراد حجج علمية قطعية ، تؤيد هذا الرأي[٣] . وسكن هؤلاء الموريون في منطقة واسعة هي منطقا الهلال الخصيب في أرض بابل حيث كون ملكهم « حمورآبي » مملكته في العراق وسكنوا في مختلف مدن سوريا كذلك[٤] .

ولما كانت أرض فلسطين على اتصال تام بمصر فقد بدأت تتأثر بالحضارة المصرية وبالسياسة المصرية منذ سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد ، ثم أصبحت تابعة للامبراطورية المصرية بعد أن فتحها تحتمس الثالث « Tahutmes. 3 » (١٥٠٠ و.م) ثم امنهوتب الثالث « Ameubotep. 3 » (١٤٥٠ و.م) فكان يحكمها مشائخ باسم حكام مصر[٥] .

ولم يتمكن الفرعون أمنهوتب الرابع « Ameubotep .4 » من الإهتمام بشؤون مصر ولا بشؤون سائر الأقطار الأخرى التي كانت تابعة للامبراطورية المصرية ، بسبب انشغاله بالإصلاح الديني ولاعتقاده بعقيدة التوحيد التي أراد جعلها العقيدة الرسمية للدولة ولمعارضة رجال الدين لهذا الإصلاح . فانتهزت المستعمرات المصرية تلك الفرصة وأخذت تستقل[٦]

(*) فصل من كتاب « العرب قبل الاسلام » للدكتور جواد علي وهو لم يطبع بعد .

(١) راجع J M N. Jeffries. Palestine the reality 1939 p,5

(٢) نفس المصدر .

(٣) Hastings. Dictionary of the Bible p, 672

(٤) سفر الخروج إصحاح ١٥ آية ١٤، ١٥ .

(٥) سفر أشعياء إصحاح ١٤ آية ٢٩ وما بعد .

(١) راجع سفر التكوين ١٤ آية ٦ كذلك Hastings p, 673

(٢) نفس المصدر .

(٣) Hastings p, 673

(٤) Hastings p 673. 27

(٥) Hastings p 673

(٦) Hastings p 673 عن النزاع الديني راجع برستد « العصور القديمة » .

استقلت فلسطين قبل مجيء القبائل الآرآمية إليها ، وقد وردت كلمة « Khabiri » فى نص تل العمارنة إلا أن تلك الكلمة لا ترادف كلمة عبرى « Hebreur » التى وردت فى التوراة[١] .

وليست هنالك أدلة علمية تثبت ترادف الكلمتين[٢] .

والذى يفهم من المصادر العبرية هو أن اليهود كانوا مستعبدين فى مصر ، ثم خرجوا من هذا الإستعباد فى أوائل القرن الثالث عشر قبل المسيح إلى أرض كنعان « فلسطين » وكان زعيمهم جميعاً « يشوع »[٣] ، وذلك ما يفهم من سفر يشوع « وكان بعد موت موسى عبد الرب ، إن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا : موسى عبدى قد مات . فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التى أنا معطيها لهم أى لبنى إسرائيل . كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات . جميع أرض الحيثيين والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم ، لا يقف إنسان فى وجهك كل أيام حياتك[٤] .

والذى يظهر من مصادر قديمة أخرى هو أن اليهود عندما دخلوا أرض كنعان ، دخلوا على صورة قبائل متفرقة وبأوقات مختلفة ، فلم يكن عليهم زعيم واحد . ويؤيد مضمون نص تل العمارنة هذا الرأى غير أنه يحتاج إلى فحص وإلى تدقيق تاريخى عميق ، لمعرفة كيفية هجرة اليهود إلى أرض كنعان[٥] .

لم يتمكن الاسرائيليون من الاستيلاء على أرض فلسطين دفعة واحدة ، بل كان ذلك تدريجيا ، ظلت الأرض الساحلية السهلة فى قبضة الفلسطينيين « Philistines » . وهنالك نظريات مختلفة عن أصل هذا الشعب . وتدعى أحدث نظرية من هذه النظريات بأن أصل الشعب الفلسطينى من جزيرة « كريت » على أنها نظرية لا زالت فى حاجة إلى أدلة علمية .

وظل « الجبونيون » « Yibconites » والكنعانيون والفرزيون والحويون واليبوسيون وأمثالهم فى أماكنهم يقاومون اليهود[١] .

وبدخول اليهود إلى أرض فلسطين ولا سيما بعد استقرارهم فيها تكونت الصلات التاريخية فيها بين العرب واليهود . وقد كان العرب يسكنون فى أرض فلسطين ذاتها وفى جوار شعوب فلسطين . فلما تمكن اليهود من بعض هذه الشعوب احتكوا احتكاكا مباشرا بالعرب .

يرى المستشرق الإنكليزى مارجليوث أن صلات العرب باليهود مرت فى أدوار ثلاثة :

أما الدور الأول فهو الدور الغامض الذى تعرف فيه العرب باليهود بعد دخول اليهود إلى أرض كنعان ، ومعلوماتنا عن هذا الدور لا تكاد تكون شيئاً . وهى تستند على الدراسات المقارنة فقط ، على دراسة الخصائص اللغوية والكلمات المشتركة فيما بين اللغتين العبرية والعربية وعلى الأساطير والعقائد الدينية القديمة ، وتشير مثل هذه الدراسة ، إلى وجود احتكاك قديم بين العرب واليهود[٢] .

وفى المرحلة الثانية اتصل اليهود بالعرب اتصالا مباشراً . وقد ذكر ذلك الإتصال فى التوراة فى مواضع مختلفة منه ، وقد كانت صلات العرب باليهود صلات حسنة نوعا ما فى بادىء الأمر ، ثم ساءت تلك الصلات على أثر ما ظهر للقبائل العربية من ميل العبرانيين إلى الإعتداء عليهم ، ومحاولة الإستيلاء على أرض فلسطين[٣] . وأكثر معلوماتنا عن هذا الدور من التوراة ومن المصادر العبرانية ذاتها ونادراً ما تشير المصادر العربية إلى ذلك .

وفى المرحلة الثالثة والأخيرة ينتقل اليهود من فلسطين إلى الحجاز واليمن والعراق بعد احتلال الرومان لأرض فلسطين وبعد العبث بالهيكل ، فيتشتت شمل اليهود ، وتسقط آخر حكومة لليهود . وتكاد تكون المصادر العربية الإسلامية فى طليعة المصادر التاريخية بالنسبة لهذا العهد[٤] .

البقية فى العدد القادم

جواد علي

(١) Hastings p 673 . ونص تل العمارنة
(٢) نفس المصدر .
(٣) راجع Hastings p 673
(٤) راجع سفر يشوع أصحاح ١ آية ١ وما بعد .
(٥) Hastings p 674

(١) راجع سفر يشوع اصحاح ٣ آية ١٠ وما بعد ومواضع أخرى
(٢) Margoliouth p, 1
(٣) نفس المصدر .
(٤) Margoliouth p, 1